المجمع 2 (1431هـ/2010م)، 161-187

نوادر "مزبَّد المدنيّ" بين المستوى الأدبي الشعبي اللطيف والمستوى البذيء*

غالب عنابسة

ملخّص:

من الجدير بالذكر أن الدراسات الاستشراقية والعربية قد تركزت بشخصيات هزلية مضحكة، مثل أشعب وجحا وغيرهما، ولم نعثر على دراسة شاملة تناولت شخصية مزبد المدني بشكل خاص، ربما لأن معظم نوادره تعتبر من الأدب غير اللطيف أو الرزين، ونحن لا نعني هنا نوادر أصحاب العاهات على سبيل المثال، وإنما النوادر الجنسية البذيئة. وهذا يعني أن بعض جامعي مادة الأدب حرصوا قدر المستطاع على عدم تدوين مثل هذه الروايات لأسباب أخلاقية نسبيا، وهذا ينطبق على البحث المعاصر. حيث لم يتناول ممن بحث في النوادر والملح والفكاهات، الأمور الشاذة، كنوادر مزبد التي لم تتسم أحيانا بالرزانة والأخلاق.

لقد تناولنا في هذه المقالة نوادر مزبد التي وردت في الكتب الأدبية، وحاولنا تصنيفها إلى حقول مختلفة، منها ما يرتبط بالبخل والمجون والبذاءة والتهكم وغيرها من أنواع. وقد استنتجنا بأن نوادره يمكن تصنيفها في إطارين: الإطار اللطيف، والإطار البذيء أو غير الرسمي (non standard, or canonical). وفضلا عن الكتب الأدبية، اعتمدنا في دراستنا على مخطوطة، جُمعت فيها الكثير من نوادره، تحت عنوان "إتحاف المتودد بنوادر مزبد" التي حصلنا عليها من جامعة ييل الأمريكية.

توطئة:

لقد تعددت وتنوعت الدراسات التي تناولت أدب النوادر والأدب الهازل في الأدب العربي الكلاسيكي، منها الدراسات الاستشراقية ومنها العربية، ونخص بالذات دراسات الباحث يوسف سدان (J. Sadan) والباحث أولرش مارزولف (U. Marzolph) وشارل بلا(Ch. Pellat) وفرانز روزنثال (F. Rosenthal)، ومن الدراسات العربية نذكر، على سبيل المثال، دراسات عبد الكريم العطري، وأحمد الحوفي وعبد الكريم اليافي وغيرهم،

* لا بد من تقديم الشكر الجزيل للبروفيسور يوسف سدان من جامعة تل أبيب، الذي أبدى ملاحظاته حول المقال.

والتي سنشير إليها لاحقا في ملاحظاتنا الهامشية. ولا شك لدينا أن الدراسات بشكل عام لها أهميتها الأدبية والاجتماعية، لكن، من جانب آخر، أغفل الباحثون الدراسات التاريخية في هذا المضمار واهتموا بالجانب الفكاهي والاجتماعي. وإذا أخذنا بعين الاعتبار بأنّ الفكاهة أو النادرة أو الأدب الهازل بشكل عام من الجوانب التي لاقت اهتماما لدى مختلف الشعوب، فإن العرب، كسائر الشعوب، اهتموا نسبيا بهذا الجنس الأدبي (genré)، بالرغم من وجوده في دائرة الأدب غير الرسمي (non Standard) إذا كان هذا المصطلح مقبولا لدى الباحث أو المستشرق في العصر الحاضر. من هذا الأدب ما حظي بتدوين كنوادر جحا وأشعب وبنان وبهلول وأبي الحارث جمّين الجمّـاز ومزبد وشخصيات أخرى ممن صنعها الخيال مثل أبي ضـمضـم، نضيف أيضا القصص المضحكة في **ألف ليلة وليلة** ومؤلفات أخرى، ومنه ما روي شفويا لعدم الاهتمام بتدوينه، نظرا لبعد النادرة عن الدين والحشمة، أو لأنها تحتوي على مضامين غير أخلاقية أو ربما لأنها من صميم الحياة الجنسية.[1]

من المعروف أن الكتب الأدبية التراثية قد جمعت الكثير من مجموعات أدب النوادر التي ترجع إلى القرن الأول الهجري، خاصة في المدينة المنورة، حظي هذا الجنس الأدبيّ باهتمام العرب، ونخص بالذكر الخلفاء المسلمين من بني العباس والوزراء والأغنياء في القرنين الثاني والثالث الهجريين في مدينتي بغداد والبصرة، والذين وجدوا بهذا الأدب وسيلة للتسلية والترفيه عن النفس بسبب القيود الاجتماعية وما ينبغي من سلوكيات يجب

[1] انظر: يوسف سدان. **الأدب الهازل ونوادر الثقلاء**. منشورات الجمل، ألمانيا، 2007، 28– 29؛ ولدى الباحث يوسف سدان في هذا الكتاب دراسات ومصادر سوف نعتمد عليها لاحقا في مقالتنا. قارن: ياسين بو علي. **بيان الحد بين الجد والهزل**. دمشق، 1996،ص 40– ص45. قارن: Ch. Pellat, "Djidd wa hazal" in: *EI²* II Leiden, 1965 pp. 436-437; Ch. Pellat, "Nadira", in: *EI²* Leiden, 1993 VII pp. 856- 858; *idem*,"Seriousness and Humor in Early Islam" *Islamic Studies*, II/3 (1963), pp. 353-362. ، إبراهيم جريس. "خبر ونادرة– دراسة في الوسائل الفنية والأسلوبية الجاحظية في صياغة النوادر." **الكرمل**، عدد 11 (1990) ص 53– 92.

اتباعها، ولا نغفل الدور الذي لعبته البيئة الفارسية ومدى تأثيرها على الجانب السلوكي في هذا الحقل، حيث أصبح هذا الجانب جزءا لا يتجزأ من الحياة الخاصة في قصور الخلفاء (نعني آداب السلوك specula regis) باللغات الأوروبية. من هذا المنطلق يشير الباحث يوسف سدان إلى وجود ظاهرة النديم المتأدب في قصور الخلافة العباسية[2]، بل نجد مؤلفات قديمة تتناول هذه الظاهرة، نأخذ على سبيل المثال كتاب **أدب الندماء ولطائف الظرفاء** لكشاجم الرملي (ت.970م)، **فصول التماثيل في تباشير السرور** لابن المعتز (ت. 908م)، **حلبة الكميت** لمحمد بن الحسين النّواجـي (ت. 1455م)، **مطالع البدور في منازل السرور** لعلي بن عبد الله الغزولـي (ت. 1412م) وغير ذلك من قبيل هذه المؤلفات.

لا تبغي هذه الدراسة الوقوف على أدب النوادر أو الأدب الهازل في الأدب العربي القديم، لأن هذا الموضوع ربما قد حظي بحقه نسبيا في الدراسات التي صدرت باللغة العربية واللغات الأوروبية على حد السواء. ومع أن العديد من الدراسات قد تركزت بشخصيات مضحكة، مثل أشعب وجحا وغيرهما، إلا أننا لم نعثر على دراسة شاملة تناولت مزبد المدني بشكل خاص، ربما لأن معظم نوادره تعتبر من الأدب غير اللطيف أو الرزين، ونحن لا نعني هنا نوادر أصحاب العاهات، على سبيل المثال، وإنما النوادر الجنسية البذيئة. وهذا يعني أن بعض جامعي مادة "الأدب" حرصوا قدر المستطاع على عدم تدوين مثل هذه الروايات لأسباب أخلاقية نسبيا، وهذا ينطبق على البحث المعاصر، حيث لم يتناول ممن بحث في النوادر والملح والفكاهات، الأمور الشاذة، كنوادر مزبد البذيئة أو التي لم تتسم بالرزانة والأدب، نستثني ما أشار إليه الباحث سدان في كتابه **الأدب الهازل ونوادر الثقلاء** في مقدمة الكتاب.

[2] انظر: J. Sadan, "Nadim", in *EI²*, Brill- Leiden, VII, 1992, pp. 851- 853.

نشير أيضا أنه ليس كل ما قيل في أدب الفكاهة والنوادر قد وصل إلينا، وذلك بسبب الرواية الشفوية الرائجة، فضلا عن وجود نوادر مجهولة الواضع والعصر معا، الأمر الذي يضع أمام الباحث عقبات لفهم التطور التاريخي والاجتماعي لمختلف موضوعات النوادر، لأنه ليس من السهل الوقوف على التكوين الأوليّ للأدب الشعبي،[3] بالإضافة إلى أن مجال اهتمام الأدباء العرب سابقا، كان منصبا على الهزل وروح النكتة والتسلية لسد الحاجات النفسية، كما يشير الباحثان يوسف سدان وروزنثال[4]، ثم من المفروض جدلا أن نذكر أنّ ظاهرة انتحال النوادر، كما هو الأمر في بعض نماذج الشعر العربي القديم (لا نعني ما قصده مارجليوت وطه حسين)، أمر ليس مستبعدا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن بعض مؤلفي مادتي "الهزل" و"الفكاهة"، ألصقوا نوادر لبعض الشخصيات المضحكة بغية انتشارها في بيئات مختلفة، كما نرى في بعض الآداب الأوروبية الشعبية التي تأثرت في هذا المضمار من العنصر القصصي الشرقي.

عني الأدباء العرب سابقا في جمع النوادر في مؤلفات مستقلة، نأخذ على سبيل المثال كتاب **جمع الجواهر في الملح والنوادر** لأبي إسحق إبراهيم بن علي الحصريّ القيرواني (ت. 1061م)، وثمة مؤلفات أدبية احتوت على موضوعات مختلفة في إطار الأدب مثل كتاب **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** لأبي منصور الثعالبي النيسابوري (ت. 1038م). أما أنواع النوادر التي جمعت فتتناول نوادر الطفيليين، والمتنبئين، والفقهاء والقضاة، والمجانين، والمحبين، واللصوص، والحمقى والمغفلين، والنحاة، والمكدّين، وهذه إشارة إلى أن النادرة ترتبط ببيئات إنسانية مختلفة، أو أن مختلف الأوساط الاجتماعية

---

[3] انظر: أحمد رشدي صالح. **الأدب الشعبي**. القاهرة، 2002، ص16– 27. فاروق خورشيد. **عالم الأدب الشعبي**. القاهرة، 1991، ص181– 185؛ أحمد كمال زكي. **الأساطير: دراسة حضارية مقارنة**. بيروت، 1979، ص26.

[4] انظر: يوسف سدان. **الأدب الهازل ونوادر الثقلاء**. ص12 قارن: F. Rosenthal, *Humor in Early Islam*,Leiden, 1956, pp. 3-10; S. Margoliouth, "Wit and Humor in Arabic Authors", *in: Islamic Culture*, I, 523 f. (1967), pp. 522-534.

شاركت في هذا المجهود الأدبي، بل إن مدى ميل البيئة العربية والإسلامية لهذا النمط من النوادر يدل على التغيرات التي طرأت على المجتمع العربي بعد مجيء الإسلام.[5]

من هذا المنطلق، لا شك أن أدب النوادر، وإن كنّا نعثر فيه على محترفين لكسب المال بسبب الفقر ورواج المجاعات في أواخر الفترة الأموية وبداية الفترة العباسية، أو مجرد للتسلية والفكاهة؛ ليس إلا صورة لما شاع في واقع الحياة الاجتماعية العربية تدريجيا، ونعني أن بدايته كانت في سبيل التحبب بين الناس، ثم أصبح يقصد للضحك فقط، ومن ثم أضحى وسيلة لتسلية الأمراء والملوك وكسب الثراء والجاه.[6] وهذا لا يعني أن ما وقع من نوادر وأساليب مختلفة في الفكاهة، مثل مزج الجد بالهزل، يعتبر تجسيدا للواقع أو للبيئة الاجتماعية. فإذا رأى الناس، على سبيل المثال، إنسانا ينزلق، يبدؤون بالقهقهة، رغم أن هذا الموقف يحتاج إلى الجد وليس الهزل. وقد أشار يوسف سدان إلى تداخل الأدب الرزين والبذيء في الأدب[7] ، ووضح كيف يتم التوازن بينهما في مجموعات كتب

---

[5] انظر: M. Jacobs, B. I. Stern, *An Outline of General Anthropology*, New York: Brans and Boble. Inc. 1980, p. 21.

[6] عبد الكريم اليافي. **دراسات فنية في الأدب العربي**. بيروت، 1966، ص 30– 55.

[7] انظر: يوسف سدان. **الأدب الهازل ونوادر الثقلاء**. ص20– 21. قارن: F. Rosenthal, *Humor in Early Islam*, p. 3; Ch. Pellat, "Seriousness and Humor in Early Islam", *Islamic Studies*, II/3, 1963, pp. 353-362; Idem, "Djidd wa-hazal":, in: *EI*, II, pp. 436-437; U. Marzolph, *Arabia Ridens*, Die humoristic Kurzproza der frühen adab-Literatur im internationlen Traditionsgeflecht, I Frankfurt am main (Vittorio Klostermann), 1992, I, pp. 15-16, Ch. Pellat, "Nadira", in: *EI* VII Leiden, 1993, pp.856-858. قارن: الجاحظ. **رسالة في الجد والهزل**. **رسائل الجاحظ**. جـ4، بيروت، 1992 ص83– 91 ، هناك دراسات علمية حول النادرة يذكرها الباحث يوسف سدان في مقالته التي ستصدر قريبا: J. Sadan, "Conflicting Tendencies between Higher and Lower Strata of humor: Some Genizah Fragments", in: G. Tamer (ed.), *Humor in des arabischen Kultur*, Berlin (Walter de Gruyter), 2008.

الأدب. حول رأي بعض الأدباء المرموقين بالنسبة لهذا الحقل الأدبي، نأخذ على سبيل المثال ما ورد في مقدمة كتاب **الحيوان** للجاحظ (ت. 869م) حيث يذكر ما يلي:

"وهذا كتاب تستوي فيه رغبة الأمم، وتتشابه فيه العرب والعجم، لأنه وإن كان عربيًا أعرابيًا وإسلاميًا جماعيًا، فقد أخذ من طرف الفلسفة وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة... ويشتهيه الفاتك كما يشتهيه الناسك، ويشتهيه اللاعب ذو اللهو كما يشتهيه ذو الحزم، ويشتهيه الغفل كما يشتهيه الأريب، ويشتهيه الغبي كما يشتهيه الفطن".[8] وقد أشار الجاحظ إلى اهتمام العلماء بالملح والفكاهات كتعبير عن الحياة التي تحتاج إلى تسلية بعيدا عن الرزانة. في الجزء الأول من كتاب **الحيوان** يرد ما يلي ذكره:

"وما بال أهل العلم والنظر، وأصحاب الفكر والعبر وأرباب النِّحل والعلماء وأهل البصر بمخارج الملل، وورثة الأنبياء وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والملحاء، وكتب الفُرّاغ والخلعاء وكتب الملاهي والفكاهات، وكتب أصحاب الفكاهات....ألأنهم لا يحاسبون أنفسهم ولا يوازنون بين ما عليهم ولهم؟".[9]

ويذكر الجاحظ في كتابه **البيان والتبيين**:

"ومتى سمعت– حفظك الله– بنادرة من كلام الأعراب، فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها، فانك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها، وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديّين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير. وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطّغام، فإياك أن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها لفظا حسنا، أو تجعل لها من فيك مخرجا سريّا، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها

[8] انظر: الجاحظ. **كتاب الحيوان**، جـ1، بيروت، 1998، ص3.

[9] انظر: ن.م. جـ 1، ص 23.

ويخرجها من صورتها، ومن الذي أريدت له، ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها".[10]

مما لا شك به أيضا أن كلا من البيئة البدوية والحضرية، التي عاشها العرب قبل الإسلام وما بعده، لعبت دورا هاما في نشوء الكثير من النوادر والقصص والحكايات والأساطير الشعبية قبل القرن الثالث للهجرة، بل نرى في كثير من الأحيان النزاع حول القيم البدوية والحضرية. وهذا ما أشار إليه الباحث يوسف سدان، في كتابه **الأدب الهازل ونوادر الثقلاء** حول القروي والمدني، نورد منه:

"مقابلة القروي المتميز بالفطنة على الرغم من سذاجته مع المدني القليل الذكاء وإن كانت هذبته رفاهية الحياة". ومن جانب آخر، يشير سدان إلى قصص تعتبر معاكسة للقصص الأولى، ويذكر في الكتاب المذكور أعلاه: "قصص تقوم على نوع آخر من المواجهة... ألا وهي التقاء الريفي الغبي وإن كان متوسط الحال، بالمدني العاقل وإن كان فقيرا".[11]

من هذا المنطلق، فإن ما وصل إلينا من نوادر وقصص شعبية، بدءا من القرن الأول للهجرة، تعبر عن ظاهرة اجتماعية تمثل لنا جماعات تربطها اللغة أو الإطار الجغرافي أو العرقي.[12] ولكن من ناحية أخرى، من الصعب على الباحث تحديد بداية نشأة أدب النوادر كما أسلفنا سابقا.

---

[10] انظر: الجاحظ. **البيان والتبيين**. جـ 1، بيروت، 1998، ص145.

[11] انظر: يوسف سدان. **الأدب الهازل ونوادر الثقلاء**. ص49؛ قارن: يوسف سدان. "البيئة الشعبية محور الأدب القصصي"، **الجديد**، 5/22، 1975، ص37. وأيضًا: J. Sadan,"The Nomad Versus Sedentary Framework in Arabic Literature " , *Fabula*, XV, 1974, pp. 59- 86.

[12] انظر: M. Jacobs and B. I. Stern, *An Outline General Anthropology*, N.Y, 1980, pp. 21-22.

إن مادة "النوادر" هي بمثابة رد فعل لضائقة لدى مجتمع هازل يحب النكتة، فمن جهة، نشعر بالمرارة عندما نقرأ مثل هذه النوادر، ومن جهة أخرى، نشعر بالسخرية والهزل، ويكون ذلك مبعثا للضحك.

وينبغي أن ننوه أيضا أن الكثير منها يعبّر عن نقد شعبي للأوضاع في المجتمع العربي، ليس اجتماعيا فحسب وإنما سياسيا، في بعض الأحيان، بالإضافة إلى الجانب الجمالي كأداة للتسلية والإمتاع، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هذه النوادر تناقلتها الأجيال في فترات زمنية لاحقة.

1. مُزَبِّد المدنيّ:

هو أبو اسحق مزَبِّد المدنيّ أو المدينيّ — وفق بعض الروايات– يعتبر من مشاهير أصحاب النوادر والفكاهة، وقع تصحيف في اسمه لدى من جمع أخباره، وليس المقصود هنا مزبّد الذي جاءت نوادره شحيحة في كتب التراث، فمنهم من ذكر "مزيد" بالياء ومنهم من ذكر "مزين" بالياء والنون وأحيانا "مَزبد".[13]

[13] انظر على سبيل المثال من ذكر مزبد: الزبيدي. **تاج العروس**، مادة "زبد" و "مزبد" بفتح الميم وكسر الباء؛ بيروت، د.ت، 2/ 361؛ ولدى الجاحظ في **الحيوان**، جـ5، ص184؛ **والبيان والتبيين**، جـ2، ص 66؛ ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، جـ1، بيروت، 1998، ص46؛ الزمخشري، **ربيع الأبرار**، جـ 5، إيران، 1973، ص444؛ التوحيدي، **البصائر والذخائر**، جـ 2، بيروت، 1964، ص37؛ **الإمتاع والمؤانسة**، جـ3، بيروت، 1978، ص71؛ محمد بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، جـ4، بيروت، د.ت، ص 131؛ المعافى بن زكريا النهرواني الجريري، **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**، جـ4، بيروت، د.س، ص142؛ الثعالبي النيسابوري، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، القاهرة، 1965، ص 649؛ منصور بن الحسين الآبي، **نثر الدر**، جـ3، القاهرة، 1983، ص232؛ الراغب الأصبهاني، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء**، جـ4، بيروت، 1961، ص651؛ الحافظ بن ماكولا، **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، القاهرة، 1982، يذكر ترجمة رقم 234. بينما يذكر الحصري القيرواني، **جمع الجواهر في الملح والنوادر**، دمشق، 1953، يذكر مزيد المديني 176، أي بحرف الياء. أما في

بدأت الكتابة عن المغفلين في القرن الأول للهجرة، وقد اشتهر منهم هبنقة الأحمق ومزبد المدنيّ، ولو كانت جميع النوادر من قبيل نوادر مزبد لأصبحت نهجا يقتدى به عند أصحاب الفكاهة. لكن يجب أن نأخذ بعين الاعتبار اختراع وإضافة نوادر إلى نوادر الحمقى والمغفلين في بعض الأحيان هدفا للتسلية أو التندر من قبل جامعي هذه المواد.

نشأ مزبد في المدينة، وعاصر أشعب الطفيلي حيث كان الجو في المدينة يحتوي على حالات من الضحك والفكاهة، فضلا من أن الفكاهة كانت تقصد لذاتها، بل كانت من متع الحياة الاجتماعية والأدبية، ثم انتقل إلى العراق في الفترة التي حكم فيها المهدي الخليفة العباسي (ت. 688م). ويذكر إبراهيم بن علي الحصريّ (ت. 1061م) في كتابه **جمع الجواهر في الملح والنوادر** أن أبا حبيب، مضحك الخليفة المهدي، كان يحفظ نوادر مزبد ابتغاء التسلية والضحك.

أما حول سنة ولادته ووفاته، فلم تشر إليها كتب التراجم، وكل ما نعلمه، كما أشرنا أعلاه، انه عاصر أشعب، وعاش أيام المهدي، وبما أن أشعب قد توفي عام 154 للهجرة (أي القرن الثامن ميلاديا).[14]

لا شك أن كتب التراجم ممن وردت فيها نوادر مزبد، لم يهتم مؤلفوها بذكر تفاصيل حياته بالمقارنة مع شخصيات أخرى مثل الطفيليين والمكدّين والبخلاء، وغير ذلك من الأسماء التي وردت في مضمار الأدب الهازل، وإنما نعثر على بعض الجمل التي لا تفي

تاج العروس للزبيدي فيذكر مَزْبد،جـ 2: ص 361. قارن الصفحات التي وردت لدى روزنثال في: U. Marzolph, قارن: . *Humor in Early Islam*,Leiden, 1956, p. 14 ,51 ,94, 121; *Arabia Ridens,die humoristishe Kurzprosa der frühen Adab-Literature Iminternationalen Traditionalen Traditionsgeflecht*, Frankfort am Main: V. Klostermann, 1992، قد نعثر (في جـ2، ص394) على نيف وأربعين إشارة الى مزبد – موضوع دراستنا.

[14] الحصري. **ذيل زهر الآداب: جمع الجواهر في الملح والنوادر**، القاهرة، 1965، ص 223.

بشيء من أخباره، وغالبا ما يكتفي المؤلف بإيراد نوادره المختلفة، ونحن نرى أن الأمر يرجع لبعض نوادره التي تجاوزت الحدود الأخلاقية، وأحيانا الدينية، ونخص بالذكر النوادر التي تتضمن عامل الجنس، أو ما يمس بالدين والروح الإسلامية، ثم نشك بأن الكثير من النوادر في هذا السياق قد حفظت شفويا ولم تدوّن في الكتب، وما ورد يعتبر الشيء القليل في هذا المضمار. نذكر، على سبيل المثال، أن أبا حيان التوحيدي (ت. 1010م) في كتابه **البصائر والذخائر** قد أورد بعض النوادر الجنسية، وكذلك منصور بن الحسين الآبي (ت. 1030م) في كتابه **نثر الدر**. لكن يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن الكثير من النوادر في التراث القديم ربما أُلصقت بشخصيات مضحكة، لهدف التسلية أو لأسباب مادية، فهناك ممن اعتنى بجمع النوادر كان يذهب لأحد الطفيليين ليستمع إليه مقابل كسب المال، في ظل مظاهر البذخ والترف التي شاعت في أواخر الدولة الأموية وفي مراحل مختلفة من الدولة العباسية، مقابل المجاعات والفقر والشقاء، حتى أصبحت الفكاهة أو سرد النادرة وسيلة للكسب عند أصحاب بعض الفكاهات والنوادر الذين اتصلوا بشكل مباشر مع الأمراء والخلفاء في كثير من الأحيان.

في هذا الجانب، يمكن أن نذكر أيضا بروز الأدب الفكاهي الذي يعتمد على الحيل الساسانية المختلفة والكدية التي راجت في القرن الرابع للهجرة. يذكر حاجي خليفة في كتابه **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** لدى تناوله هذه الصناعة أنها "علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب المنافع وتحصيل الأموال".[15] ويشير عبد الكريم اليافي في حديثه عن الفكاهة بأنها مسّت باتساع جوانبها بعض الأمور التي تتعلق بالدين.[16] ومن جانب آخر، فنحن نعرف أن البيئة الإسلامية قد تحفظت من المزاح والهزل، بالرغم من وجود نصوص تراثية تميل إلى أسلوب الفكاهة بل متجاوزة حد البذاءة والجوانب الأخلاقية. ونأخذ، على سبيل المثال، كتاب شهاب الدين أحمد بن يوسف التيفاشي

[15] انظر: حاجي خليفة. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. جـ1، بغداد، 1985، ص65.

[16] انظر: عبد الكريم اليافي. **دراسات فنية في الأدب العربي**. ص 52– 95.

(ت. 1253م) **نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب**[17] الذي لا يمكن حصره ضمن الأدب الرسمي (canonical)، ويطلق عليها الباحث يوسف سدان "أدب ما وراء الرسمي" (non standard) أو الأدب الذي يتسم بالبذاءة، لخروج هذه المادة عن المعايير المقبولة أو المألوفة من الجانب الأخلاقي. يتناول هذا الكتاب موضوعا نادرا في تاريخ الأدب الإيروتيكي العربي، إذ يقدم مسحا شاملا للظواهر الجنسية المتخفية منها والظاهرة في المجتمع الإسلامي[18] حتى منتصف القرن السابع الهجري، بالمقابل نعثر في بعض كتب التراث التي جمعت في فصولها النوادر والحكايات على مواد بذيئة وأخرى رزينة. نأخذ على سبيل المثال كتابي **ربيع الأبرار** للزمخشري، **والبصائر والذخائر** للتوحيدي. لكن، من ناحية أخرى، لا يمكن أن نغفل إشارة البعض إلى السماح بالمزاح الرزين، للترخيص به دينيا، والحجة بذلك مزاحات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، التي تلاءمت مع جلالة النبوة والأخلاقية المثالية.

يشير الجاحظ في كتاب **البخلاء** أيضا إلى مكانة الفكاهة والضحك في الحياة، كالترويح عن النفس، لأن الحياة مليئة بالمصاعب والمشاكل، شريطة ألا تتجاوز حدودها. وقد ورد في الكتاب المذكور بهذا المعنى:

"وللضحك موضع وله مقدار، وللمزح موضع وله مقدار، متى جازهما أحد وقصر عنهما أحد صار الفاضل خطلا والتقصير نقصا، فالناس لم يعيبوا المزح إلا بقدر، ومتى أريد بالمزح النفع وبالمضحك الشيء الذي له جعل الضحك، صار المزح جدا والضحك وقارا".[19]

---

[17] انظر: التيفاشي. **نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب**. لندن، 1992. ولدينا كتاب يحمل نفس العنوان للمؤلف باختلاف بسيط "**نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب**" تحقيق جمال جمعة" لندن– قبرص، 1992، وأيضا ملاحظة رقم 30 في كتاب يوسف سدان. **الأدب الهازل ونوادر الثقلاء**. حول كتاب التيفاشي، هناك من يذكر فيما لا يذكر في كتاب .

[18] انظر مقدمة التحقيق للكتاب أعلاه، ص 35– 38.

[19] انظر: الجاحظ، **كتاب البخلاء**، بيروت، 1977، مقدمة الكتاب التي قدمها المؤلف، ص 9– 10.

2. نوادر مزبد بين الرزانة والشذوذ عن منهج الأخلاقيات

لا شك لدينا أن الشخصيات المشهورة في أدب النوادر لدى العرب قد تمتعت في كثير من الأحيان بعدة وجوه وأوصاف[20]. ولكن يبدو أن كل شخصية قد حظيت بوصف معين وفق سلوكها أو طبيعة نوادرها، فبهلول، على سبيل المثال، يعتبر من عقلاء المجانين، وجحا اشتهر بالحماقة، وأشعب اتصفت شخصيته بالطمع، أي أنه قد احترف التّطفيل. من جانب آخر، قد نرى أن كل شخصية قد تميزت بتناقضات معينة وفق سلوكها في الحياة العامة، ونذكر على سبيل المثال بأن جحا يعتبر فتى عاقلا، ولكن مع ذلك فهو رجل أحمق أو أبله. بينما تميزت شخصية مزبد المدني، الذي نحن بصدده في هذه الدراسة، بأكثر من وجه. فمن جهة يعتبر من المغفلين والبخلاء، والغالب لدى الكثير من المؤرخين أنه كان من البخلاء، كما أشار إلى ذلك يوسف بن الوكيل الميلوي[21] (ت. 1689م)، بل وفتى ماجن ولاهٍ وعابث بالأخلاقيات.

وقبل أن نتناول نوادر مزبّد واتجاهاتها المختلفة والمتناقضة أحيانا، لا بد من الإشارة إلى أن بعض المؤلفين العرب القدماء قد جمعوا البعض من نوادر مزبد، منها الرزين ومنها البذيء، فمن الصنف الأول نذكر كتاب **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** لعبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري (ت. 1038م)، وكتاب **الإمتاع والمؤانسة** لأبي حيان التوحيدي (ت.1009م)، ونذكر، على سبيل المثال، من الصنف الثاني **تزيين السواق في أخبار العشاق** لداود الأنطاكي (ت. 1599م)، و**ربيع الأبرار** للزمخشري (1144م)، **ونثر**

---

[20] انظر: يوسف سدان، **الأدب الهازل ونوادر الثقلاء**، ص 26– 27. قارن: Ch. Pellat, Djuha, in: *EI*², II, New Edition, Leiden, 1991, pp. 590-592.

[21] انظر: يوسف بن محمد الميلوي، مخطوطة لاندبرغ 258, fol. 85r. وقد اعتمدنا على كتاب يوسف سدان بالنسبة لرقم المخطوطة التي بحوزتنا، والتي وردت تحت عنوان: "**إتحاف المتودد بنوادر مزبّد**" وهي تضم عنوانا آخر: "**إرشاد من نحا إلى نوادر جحا**". وهذا ليس موضوع دراستنا. أما ما يرتبط بصفحات لاندبرغ فيقع بين ff. 82b- 95b.

الدر للآبي. أما بالنسبة للميلوي، فقد جمع مادته من كتب تراثية مختلفة، منها، **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**، للمعافا بن زكريا (ت. 1000م)، **وتزيين الأسواق في أخبار العشاق** لداود الأنطاكي، **وجمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، للثعالبي، **وفوات الوفيات** لمحمد بن شاكر الكتبي (ت. 1362م)،

والسؤال الذي يطرح هو ما مدى أصالة مؤلفنا، نعني الميلوي، في حقل التأليف؟

لم يشذ مؤلفنا عن المقبول في فترته، بالمقارنة مع مصادر قد سبقت تأليفه لرسالته، ونحن نشير في مقالتنا إلى نصوص مماثلة لنص الميلوي بالمقارنة مع الملاحظات الهامشية التي ركّـزها U. Marzolph (انظر ملاحظـتـنا رقم 13)، ورغم اعتماد الميلوي على مصادر سابقة له، فهنالك بعض الأصالة في كتابته، ويمكن إيجاز مجمل ما قام به بالنقاط التالية:

أولا: الصياغة الجديدة للنوادر في الكتاب.

ثانيا: جمع النوادر.

ثالثا: يصعب، في بعض الأحيان، العثور على النوادر التي وردت في المصادر القديمة والتي اطلع عليها أو سمعها.

يشير عباس محمود العقاد بالنسبة لحذف بعض المواد في كتابه **جحا الضاحك المضحك**: "فيما أثبته المؤلفون المتأدبون أنهم اسقطوا البارد الغث من النوادر، ولم يثبتوا إلا ما فيه معنى وله طعم في مذاق الأديب والفنان".[22]

[22] انظر: العقاد. **جحا الضاحك المضحك**. القاهرة، د.ت، ص136؛ قارن: أحمد الحوفي. **الفكاهة في الأدب**. القاهرة، 2001،ص 62– 96؛ عبد الغني العطري. **أدبنا الضاحك**. بيروت، 1970، ص22–

3. حقل النوادر وأنواعها

من المعلوم أن الشخصيات الهزلية في الأدب العربي تشكّلت وتنوعت نوادرها، وفق الموقف الذي وردت فيه، نعني أي الموقف الجاد أو الموقف الهزليّ؛ وكذلك حسب البيئة التي نشأت فيها النوادر أو الحكايات الهزلية.

من خلال اطلاعنا على مصادر التراث العربي من مخطوط ومطبوع وجدنا أن نوادر مزبّد تنحو إلى أكثر من منحى، مع وجود العديد من النوادر التي تتناقض مع بعضها البعض إذا أخذنا بعين الاعتبار البيئة الإسلامية التي نمت بها، فهي من ناحية لا تعبر عن الذوق الإسلامي الرزين، ونعني النوادر غير الأخلاقية التي ترتبط بالجنس، ومن ناحية أخرى، تنسجم مع بيئة ميّالة للضحك والتسلية.

ويبدو لنا أن هذه النوادر جاءت للتعبير عن سرعة البديهة والفطنة، وقد بدأ الاهتمام بهذا النوع من الأدب منذ مطلع القرن السابع الميلادي، نخص بالذكر في المدينة الحجازية، ومع مطلع العصر العباسي انتقلت الفكاهة إلى بغداد ومدينة البصرة، لوجود حياة اللهو والمجون، وكان من المفروض لدى بعض الخلفاء الاهتمام بالنادرة أو الملحة بسبب القيود المعروفة في قصور الخلفاء. ومع مطلع القرن الثامن ميلاديا بدأ بعض الأدباء بجمع النوادر في كتب أدبية مستقلة، لان هذا الفن كان شفهيّ النشأة، لكن دون أن تخلو كتبهم من إضافات وتغييرات على الروايات الشفوية الأصلية.

وردت الفكاهة في الأدب العربي بأشكال وأنماط مختلفة، منها الغفلة التي تعتبر نوعا من الغباء والبلادة والتغافل ابتغاء الهروب من العقاب، وغالبا ما ترتبط الحماقة بالغفلة، فليس هناك، على سبيل المثال، أحمق من يزيد بن ثروان، المعروف بهبنقة.

27؛ رياض قزيحة. **الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي**. صيدا، 1998، ص247– 259؛ أنيس فريحة. **الفكاهة عند العرب**. بيروت، 1962، ص77– 80.

وقد قسم الأدباء العرب الهزل والفكاهة إلى أنواع وأوردوها في كتبهم موزعة ومصنفة، منها ما يدخل في باب الغباء، أو التناقض، أو التلاعب بالألفاظ، أو التهكم بالعيوب الجسدية وغيرها من مناح مختلفة.

3.1 نوع النادرة لدى مزبد المدنيّ – نوادر في البخل

من المعلوم أن النوادر التي تناثرت في كتب الأدب المختلفة الخاصة بمزبد تعددت مناحيها، ومن خلال اطلاعنا على هذه الكتب وبعض المخطوطات التي بحوزتنا، مثل مخطوطة يوسف بن الوكيل الميلوي، **إتحاف المتودِّد بنوادر مزبِّد**، والتي حصلنا عليها من جامعة ييل؛ وجدنا هذه المناحي المختلفة للنوادر العربية، ويتشابه هذا الأمر نسبيا مع الشخصيات التي اتسمت بالفكاهة في الأدب العربي، نخص بالذكر من عاصر مزبد المدني، ومن لم يعاصره. أما بالنسبة للنوادر التي ترتبط ببخله الذي يبعث إلى الضحك من جهة، والاشمئزاز من جهة أخرى، نذكر، على سبيل المثال، ما ورد في كتاب **ربيع الأبرار** للزمخشري":

"اشتهت امرأة مزبد عليه الجراد، فسأل عن سعره فقيل المدّ بدرهم فقال والله لو كان الدجال ينزل المدينة وأنت ماخض بالمسيح ما اشتريته لك بهذا السعر".[23]

وفي كتاب **فوات الوفيات** لمحمد بن شاكر الكتبي (ت. 1362م)، ورد ما يلي: "وطلب منه بعض جيرانه ملعقة، فقال: ليت لنا ما نأكله بالأصابع".[24]

---

[23] انظر: الزمخشري. **ربيع الأبرار**. جـ4: ص205؛ وانظر كذلك: الراغب الأصفهاني. **محاضرات الأدباء**. جـ 1: ص470.

[24] محمد بن شاكر الكتبي. **فوات الوفيات والذيل عليها**. جـ 4: ص133.

وقد ورد لدى ابن قتيبة الدينوري (ت. 889م) في كتابه **عيون الأخبار** ما يستبشعه السامع من ثقل للألفاظ، ويشمئز منه أيضا، رغم أنه يبدو لنا بأن العرب انسجموا مع لطف المعنى فيه:

"وقيل لمزبد المديني وقد أكل طعاما كظّة[25]: قي فقال: ما أقي، أقي، نقا ولحم جدْي، مرتي طالق لو وجدت هذا قيا لأكلته".[26]

3.2 الرد بالمثل

وهي مبعث للضحك حين يهزأ إنسان من آخر، فيرد عليه بسخرية أو بجدية تكون سببا للضحك، خاصة حينما يكون الرد مجانسا للكلام. وللتمثيل على ذلك نورد ما جاء لدى التوحيدي في كتاب **الإمتاع والمؤانسة**:

"اشترى مزبد رطبا فأخرج صاحب الرطب كيلة صغيرة (دليل على بخله) ليكيل بها، فقال المديني: والله لو كلت بها حسنات ما قبلتها".[27]

نادرة أخرى يتظاهر مزبد بأنه كريم لكن ينطوي أمره على البخل، تنسجم مع ما يسمى بلغة النوادر "الرد بالمثل"، وهي ما ورد في كتاب **مطالع البدور في منازل السرور** للغزولي حيث جاء فيه:

"أضاف مزبد رجلا فأطال المكث فقال ليلة لامرأته كيف نعمل برحيل هذا عنا، قالت أخاصمك ونحتكم إليه ففعلا، فقالت المرأة بالذي يبارك لك في ركوبك غدا لما حكمت بيننا بالحق، قال والذي يبارك لي مقامي عندكم هذه السنة ما أعرف من الحكم شيئا".[28]

---

[25] الكظّة أي أكل حتى لا تطيق نفسه الطعام.

[26] ابن قتيبة. **عيون الاخبار**. جـ1، بيروت، 1998، ص46.

[27] انظر: التوحيدي. **الإمتاع والمؤانسة**. جـ 2: ص56.

[28] انظر: الغزولي. **مطالع البدور في منازل السرور**. جـ2 القاهرة، 1299 هـ، ص51؛ وانظر كذلك: البغدادي. **كتاب التطفيل**. النجف، 1996، ص24؛ ابن الجوزي. **كتاب الأذكياء**. بيروت، 1979،

وورد لدى الآبي في **نثر الدر** من قبيل ذلك:

"تناول رجل من لحيته شيئا (أي من لحية مزبد) فسكت عنه، وكان الرجل قبيح الوجه فقال: ويحك لمَ لا تدعو لي، فقال: كرهت أن أقول صرف الله عنك السوء فتبقى بلا وجه".[29]

وجاء في مخطوطة يوسف بن الوكيل الميلوي : "وغنت قينة في مجلس فيه مزبد فقال لها رجل أحسنت يا سيدتي وليس يحضرني ما أعطيك ولكن قد وهبت لك كل حسنة لي وحملت عنك كل سيئة لك، فقام مزبد فقال والله ما أعطاك ابن الزانية شيئا، وذلك انه لا سيئة لك فيحملها عنك ولا له حسنة فيعطيها لك".[30]

3.3 حسن التخلص:

وهي تعتبر من أصناف النوادر التي تدل على الذكاء والفطنة وسرعة البديهة، لكن من ناحية أخرى فهي تعتبر مبعثا للهزل والضحك.

ورد لدى الزمخشري في كتاب **ربيع الأبرار** ما يلي: " قال مزبد لسقّاية مدنية كان يألفها وهو في جماعة، أدخلي صبّي لنا ماء، قالت وحياتك لا أصلّي".[31]

ولدى الآبي جاء في كتابه **نثر الدر**:" دفع مرة إلى والي مكة وقد Hافطر في شهر رمضان فقال له الوالي: يا عدو الله تفطر في شهر رمضان! قال: أنت أمرتني بذلك قال:

ص131؛ **أخبار الظراف والمتماجنين**. دمشق، 1347هـ، ص 53؛ **أخبار الحمقى والمغفلين**. بيروت، 1997، ص 61؛ الزمخشري. **ربيع الأبرار**. جـ5. بغداد، 1982، ص 138.

[29] الآبي. **نثر الدر**. جـ 3، ص232.

[30] انظر مخطوطة "**إتحاف المتودد بنوادر مزبّد**" .fol.96v.

[31] انظر: الزمخشري. **ربيع الأبرار**. جـ 3: ص161.

هذا شر كيف أمرتك ويلك قال: حدّثتَ عن ابن عباس: أنه من صام يوم عرفة عدل صومه سنة وقد صمته فضحك الوالي وخلاه".[32]

وفي كتاب **فوات الوفيات** للكتبي ورد ما يلي:

"وباع جارية على أنها تحسن الطبخ، فلم تحسن شيئا، فطلب إلى القاضي وطولب بأن يحلف على أنها تحسن الطبيخ، فاندفع وحلف إيمانا مغلظة أنه دفع إليها مرة جرادة فعملت منها خمسة ألوان من الطعام وفضل منها شريحة للقديد، سوى الجنب فإنها عملته جوذابة، فضحك من حضر ويئس الخصم من الوصول إلى شيء منه، فخلى سبيله".[33]

3.4 المجـون

نعني بالمجون العبث واللهو بعيدا عن الأعراف والمبادئ الإسلامية، ومن المعروف أن هذا المصطلح راج ذكره في البيئة الأموية والعباسية لدى الشعراء، نخص بالذكر الوليد بن يزيد في الفترة الأموية، وأبا نواس في الفترة العباسية، وغالبا ما يرتبط المجون بالخمر والحانات والأديرة. أما النوادر التي سوف نذكرها هنا فهي تدل على ذلك بالنسبة لمزبد.

نأخذ على سبيل المثال ما ورد لدى الميلوي في المخطوطة المذكورة أعلاه:

"إن امرأته قالت له يوما ليس شيئا اربح من النبيذ، فعملت نبيذا وأتاها مزبد برجل معه درهم واحد يشتري به فقالت له لا أبيعه إلا جملة، فجاءها برجل آخر معه ثلاثة دراهم يشتري بها فقالت لا أبيعه إلا جملة، فمضى مزبد إلى صاحب الشرطة فقال له إن امرأتي عندها نبيذ فوجه الحرس وقال كونوا معه فإن كان في بيته نبيذ فاكسروه واطرحوا مزبدا وامرأته في الحبس وإن لم تجدوا فيه شيئا فردوه إليّ فجاءوا فدخلوا إلى منزله

---

[32] انظر: الآبي. **نثر الدر**. جـ 3: ص237.

[33] انظر: الكتبي. **فوات الوفيات**. جـ 4 : ص134؛ انظر مخطوطة "**إتحاف المتودد بنوادر مزبّد**" ، fol. 87r

فوجدوا النبيذ فقال لزوجته قد جئتك بمن يشتريه جملة، فكسروا النبيذ وجلدوهما جميعا ومضوا بهما إلى الحبس فلما حصلا فيه قال لها وأزيدك فائدة عما نحن فيه لم تخطر ببالك، قالت وما هي يا مشئوم قال: استرحنا من كراء البيت".[34]

نادرة أخرى ما جاء لدى الزمخشري في **ربيع الأبرار**:

"فرّ مزبد من والي المدينة وتوارى، وطلبه الوالي، فبينما هو في الطلب إذ سمع في المقابر صوت طنيور فأقبل حتى وقف على قبر محفور وفيه سراج، وفوق القبر بواري، فكشف فإذا مزبد قائم وبيده طنيور في جوف القبر، وعنده نبيذ فقال له: اخرج يا عدو الله قال مزبد: لا والله لا أخرج إليك ولا هذا من عملك، إنما عملك في العمارة وليس لك علي سلطان".[35]

وأخرى وردت لدى النيسابوري في **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** موضوعها ثقل يوم الأربعاء، حيث يقال ان الأربعاء أثقل الأيام، فقد وردت لدى المؤلف الرواية التالية التي تبرز السخرية من الموعظة:

"وقرأت في أخبار مزبد أن رجلا جاءه فقال له: أحب أن تخرج معي وتصل جناحي في حاجة لي فقال: هذا يوم الأربعاء استثقله ولست أبرح من منزلي فقال الرجل: وما تكره من يوم الأربعاء وفيه ولد يونس بن متّى فقال: لا جرم وقد بانت بركنه في اتساع موضعه وحسن كسوته حتى وصل على ورق القرع قال: وفيه ولد يوسف قال: ما أحسن ما فعل به إخوته حتى طال حبسه وغربته قال: وفيه أُوحيَ إلى إبراهيم عليه السلام قال: فما كان أبرد الأتون الذي أوقدوه له حتى خلّصه الله تعالى منه قال: وفيه نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب قال: أجل بأبي أنت وأمي ولكن بعد أن زاغت الأبصار

---

[34] انظر: الميلوي. مخطوطة **إتحاف المتودد بنوادر مزبّد**. fol. 86r-86v نقلا عن الحصري في كتابه **جمع الجواهر في الملح والنوادر** في المخطوطة لم يورد الاسم الكامل للكتاب، واكتفى بكلمة "الجواهر" fol. 85v.

[35] انظر: الزمخشري. **ربيع الأبرار**. جـ 9، ص122

وبلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزُلزلوا زلزالا شديدا".[36]

ويذكر أبو حيان التوحيدي في كتابه **الإمتاع والمؤانسة** الرواية التالية:

"أراد مزبد أضحية فلم يجدها فأخذ ديكا ليضحي به، فوجّه إليه جيرانه شاة شاة حتى اجتمع عنده سبع شياه، فقال : ديكي أفضل عند الله من إسحاق لأنه فدي بكبش وديكي بسبع".[37]

ولدى محمد بن شاكر الكتبي في كتاب **فوات الوفيات** :

"وكان مرة نائما في المسجد، فدخل إنسان فصلى وقال: يا رب أنا أصلي وهو نائم، فقال يا بارد، سل حاجتك ولا تحرّشه علينا".[38]

ولدى الجاحظ في **البيان والتبيين** ورد ما يلي:

"وسرق مزبد نافجة مسك فقيل له: إن كل من غلّ يأتي يوم القيامة بما غلّ يحمله في عنقه فقال: إذا والله أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل".[39]

---

[36] انظر: النيسابوري. **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**. القاهرة، 1965، ص649– 650؛ وانظر ايضا: المعافى بن زكريا. **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**. جـ 4، ص142؛ الآبي ، **نثر الدر**، جـ3: ص 233، حيث ترد الرواية نفسها مع اختلاف بسيط، يذكر الآبي "وأتاه أصحاب له يوما فقالوا له يا أبا اسحق هل لك في الخروج بنا إلى العقيق (والمراد عقيق المدينة بجانبها، فيه عيون ونخل)، وإلى قباء وهو في طرف المدينة بها مساكن بعض الأنصار وأيضا مسجد قباء المشهور". قارن: يوسف بن الوكيل، **إتحاف المتودد بنوادر مزبد**. ظهر.fol. 84v نقلا عن المعافى بن زكريا في كتابه **الجليس الصالح** المذكور في هذا الهامش.

[37] انظر: التوحيدي. **كتاب الإمتاع والمؤانسة**. جـ3، ص78؛ قارن: محمد بن شاكر الكتبي. **فوات الوفيات والذيل عليها**. جـ 4، ص 132.

[38] محمد بن شاكر الكتبي. **فوات الوفيات والذيل عليها**. جـ4، ص133، قارن: يوسف بن الوكيل. **إتحاف المتودد بنوادر مزبد**. fol. 87v

وكذا عند ابن قتيبة أيضا في **عيون الأخبار**: "قيل لمزبد : أيسرك أن هذه الجنة لك؟ قال:

وأُضرَبُ عشرين سوطا قالوا: لمَ تقول هذا؟ قال: لأنه لا يكون شيء إلا بشيء".[40]

3.5 التلاعب بالألفاظ:

نعني بالتلاعب بالألفاظ أن السامع قد يلعب باللفظ الذي سمعه، ويحاول أن يخلق معنى آخر، يستهدف في كثير من الأحيان التهكم أو التندر أو ربما حسن التخلص من أمر معين. كما ورد لدى الزمخشري في **ربيع الأبرار**:

" رأى مزبد خاتما من ذهب في يد جارية فقال لها: ناوليني خاتمك أذكرك به قالت: هذا ذهب وأخشى أن تذهب، ولكن خذ هذا العود فعسى أن تعود".[41]

3.6 التندر والتهكم:

نعني بالتندر أن يظهر الإنسان نوعا من الدعابة في حديثه، وبالمقابل يكشف خبايا الإنسان الماثل أمامه، وكثيرا ما نعثر عليه في قصص البخلاء والطفيليين والمكدّين، كما ورد لدى الآبي في **نثر الدر**:

"استأذن مزبد على بعض البخلاء، وقد أُهديَ له تين في أول أوانه، فلما أحسّ بدخوله فوضعه تحت السرير، وبقيت يده معلقة ثم قال لمزبد: ما جاء بك في هذا الوقت؟ قال يا سيدي، مررت الساعة بباب فلان فسمعت جاريته تقرأ لحنا ما سمعت قط أحسن منه،

---

[39] انظر: الجاحظ. **البيان والتبيين**. جـ 2، ص66.

[40] ابن قتيبة. **عيون الأخبار**. جـ 1، ص 46.

[41] انظر: الزمخشري. **ربيع الأبرار**. جـ3، ص 182؛ ابن عبد ربه. **العقد الفريد**. جـ2 القاهرة، 1962، ص202؛ الثعالبي. **لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء**. ليدن، 1978، ص 75؛ الراغب الأصفهاني. **محاضرات الأدباء**. جـ 2 ، ص272.

فلما علمت من شدة محبتك للقرآن وسماعك للألحان حفظته وجئت لأقرأه عليك قال فهاته، فقال بسم الله الرحمن الرحيم والزيتون وطور سنين فقال ويلك أين التين؟ فقال تحت السرير".[42]

ولدى الراغب الأصفهاني (ت. 1108م) في كتابه **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء** وردت رواية يتهكم مزبد بنفسه بواسطة حماره:

"قيل لمزبد: ما بال حمارك يتلبد إذا أخذ نحو المنزل وحمير الناس إلى منازلهم أسرع، فقال: لمعرفته بسوء المنقلب".[43]

وفي مخطوطة الميلوي وردت نادرة تظهر الصورة العكسية، جاء فيها:

"وكان مرة نائما في المسجد فدخل إنسان فصلّى وقال يا ربّ أنا أصلّي وهذا نائم فقال: يا بارد سل حاجتك ولا تكن غمّازا".[44]

وفي المخطوطة نفسها أعلاه جاء: "وقيل لمزبد مات اليوم من المدينة عوّاد وطبّال وزمّار فقال: لا شك أن في جهنم عرسا في هذا اليوم".[45]

ولدى نفس المؤلف أعلاه:

"وقال مزبد كنت اسمع الناس يقولون من تزوج أحرز دينه، فتزوجت فذهب ديني ودين أمي، فقيل له أما دينك فلزواجك فكيف ذهب دين أمك؟ قال إنها كانت قبل

---

[42] انظر: الآبي، **نثر الدر**، جـ 3، ص 233.

[43] انظر: الراغب الأصفهاني. **محاضرات الأدباء**. جـ 4، ص651؛ محمد بن شاكر الكتبي. **فوات الوفيات**. جـ4، ص133؛ الآبي. **نثر الدر**. جـ 3، ص236. وردت هذه النادرة لدى الميلوي في مخطوطة .fol. 94v، قارن: الكتبي. **فوات الوفيات**. جـ 4، ص133.

[44] انظر: الميلوي. "**إتحاف المتودد بنوادر مزبّد**". fol. 87r قارن: الكتبي. **فوات الوفيات**. جـ 4، ص133.

[45] مخطوطة م.ن .fol. 88v في الأصل "عرس".

زواجي ملازمة للصلاة في أوقاتها فاشتغلت عن الصلاة بمشاتمة زوجتي، واشتغلت أنا بشتم أمي فذهب دينها وديني".[46] ونادرة أخيرة نوردها لدى نفس المؤلف أعلاه:

"وقيل له كيف يباع الخمر عندكم؟ فقال بأربعة دراهم وثمانين سوطا، فقيل إنما سألناك عن الخمر فقال لا يباع هذه إلا مع هذا".[47]

3.7 التهكم بزوجته:

ثمّة نوادر كثيرة وردت في كتب التراث، تبين مدى تهكم مزبد بزوجته، منها ما يندرج تحت المستوى المقبول ومنها ما يندرج تحت المستوى البذيء أو الفج الرديء، ورد لدى الآبي في كتاب **نثر الدر**:

"ونظر يوما إلى امرأته تصعد في درجه، فقال أنت طالق إن صعدت وأنت طالق إن وقفت وأنت طالق إن نزلت فرمت بنفسها من حيث بلغت، فقال لها فداك أبي وأمي ! إن مات مالك احتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم".[48]

ونادرة أخرى وردت في المصدر أعلاه :"وسكر يوما فقالت امرأته أسأل الله أن يبغض النبيذ إليك فقال والفتيت إليك".[49]

ورد لدى الكتبي في **فوات الوفيات** :"وصلّى يوما فلما فرغ دعا، فقالت امرأته: اللهم أشركني في دعائه، فسمعها، فقال: اللهم اصلبني".[50]

---

[46] م.ن .fol. 88r.

[47] م.ن .fol. 91r.

[48] انظر: الآبي. **نثر الدر**. جـ 3، ص235؛ الكتبي. **فوات الوفيات**. جـ 4، ص132. قارن: مخطوطة الميلوي. **إتحاف المتودد بنوادر مزبد**. fol. 87r

[49] انظر: الآبي. **نثر الدر**. جـ 3، ص233.

[50] انظر: الكتبي. **فوات الوفيات**. جـ 4، ص133.

أما ما يندرج تحت المستوى البذيء، فهي كثيرة نعثر عليها في كتب الأدب التي اعتنت بالنوادر أو الأدب بالمفهوم العام، ورد لدى الآبي في **نثر الدر** ما يلي:

" وقالت امرأة مزبد وكانت حبلى ونظرت إلى قبح وجهه: الويل لي إن كان الذي في بطني يشبهك، فقال لها: الويل لي إن كان الذي في بطنك لا يشبهني"[51].

ولدى الزمخشري في **ربيع الأبرار** ورد ما يلي:"اشترى مزبد لامرأته ثوبا فقالت هو خشن فقال: أيّما أخشن هو أم الطلاق؟ فرضيت به".[52]

وفي مخطوطة الميلوي ورد ما يلي:

" واشترى يوما رأسين شواء ووضعهما بينه وبين زوجته ليأكلاهما، فأخذت زوجته رأسا فوضعتها خلفها فقال لها ما هذا ؟ قالت هذه لأمي وأخذ مزبد الرأس الآخر ووضعها خلفه وقال هذه لأبي، فقالت زوجته وما تركت لنا نأكله فقال: لها أخرجي رأس أمك وأنا أخرج رأس أبي".[53]

3.8 **البذاءة في النوادر**

ما ورد في البذاءة في النوادر هو بمثابة روايات تناثرت في مختلف الكتب الأدبية، والتي حرص مؤلفوها على الموازنة بين مستويين من النوادر، منها المقبول من الجانب الأخلاقي، ومنها ليس مقبولا من الجانب المذكور. وقد أشار إليها الباحث يوسف سدان، في مقدمة كتابه **الأدب الهازل** إلى ذلك بـ "ما وراء الأدب الرسمي"[54] نذكر على سبيل المثال ما ورد من نوادر وحكايات في كتاب التيفاشي، **نزهة الألباب فيما لا يذكر في**

---

[51] انظر: الآبي. **نثر الدر**. جـ 3 ، ص237.

[52] انظر: الزمخشري. **ربيع الأبرار**. جـ 5، ص181.

[53] انظر : **إتحاف المتودد بنوادر مزبد** .fol. 94v

[54] انظر: يوسف سدان. **الأدب الهازل ونوادر الثقلاء**. ص 20.

كتاب المذكور أعلاه. في هذا المضمار، ورد لدى الكتبي في **فوات الوفيات** ما يلي: "وقيل له أيولد لابن ثمانين ولد؟ قال نعم، إذا كان له جار ابن ثلاثين سنة".[55]

وفي **نثر الدر** للآبي حكاية ترتبط بغلام لمزبد ورد فيها :"كان لمزبد غلام ، إذا بعثه في حاجة جعل بينه وبينه علامة، أن يكون إذا رجع سأله فقال: حنطة أو شعير، فإن عاد بالنحج قال حنطة وإن لم يقض الحاجة قال شعير. فبعثه يوما في حاجة فلما انصرف قال: حنطة أم شعير؟ قال: خرا. قال: ويلك! وكيف ذلك؟ قال: لأنهم لم يقضوا لحاجة وضربوني وشتموك".[56]

وفي المصدر ذاته، حكاية خصام مع زوجته:" ووقع بينه وبين امرأته خصومة فحلف لا يجتمع رأسي ورأسك على مخدة سنة، فلما طال عليه قال: نقتنع باجتماع الأرجل إلى وقت حلول الأجل". [57]

ورد في مخطوطة يوسف بن الوكيل الميلوي:

" ورُئي مرة يلطم وجهه فسئل عنه فقال: لم يُصب أحد بمثل ما أصبت به، أرسلت جاريتي ومعها شاة ودرهمين إلى التيّاس، فعادت الجارية حاملا والشاة حائلا".[58]

وورد كذلك في مخطوطة الميلوي:

" وكان يوما عند بعض أهل المدينة ودخلت قينة كان يتعشقها فأراد أن يصرف مزبدا فقال له امض إلى فلان حتى يجيء فيرى فقال له مزبد فمن ينظر عوضا عني حتى أرجع".[59]

---

[55] انظر: الكتبي. **فوات الوفيات**. جـ 4، ص 133؛ الآبي، **نثر الدر**، جـ 3، ص236. قارن مخطوطة الميلوي. **إتحاف المتودد**، fol. 87v.

[56] انظر: الآبي. **نثر الدر**. جـ 3، ص 242.

[57] انظر: الآبي، **نثر الدر**. جـ 3، ص243.

[58] انظر: **إتحاف المتودد بنوادر مزبد**،. fol. 91r.

فضلا عما ورد أعلاه من نوادر مختلفة، فثمة نوادر ترتبط بالجشع، لكنها قليلة للغاية، نأخذ على سبيل المثال ما ورد في مخطوطة الميلوي:

"وقيل له مرة كيف حبك لأبي بكر وعمر فقال: ما ترك الطعام في قلبي حبا لأحد".[60]

ووجدنا أيضا نادرة يتيمة في المخطوطة أعلاه، تنحو المنحى السياسي، وهذا ليس معهودا نسبيا في أدب النوادر.

"ودخل يوما على بعض العلويين فجعل يعبث به ويؤذيه فقال: صلوات الله على عيسى ابن مريم فإن أمته معه في راحة إذا لم يخلف عليهم من يؤذيهم".[61]

خاتمة:

من خلال الأمثلة التي أوردناها في دراستنا، نرى بأن نوادر مزبد المدني قد تنوعت وتشكلت بأشكال مختلفة، بين البخل والمجون، والتندر والبذاءة والغفلة، وغير ذلك مما أوردناه، والظاهر أنه كان من البخلاء وليس من المغفلين، وهو الذي عليه غالب المؤرخين.[62]

لا نغفل أن المدينة كانت البيئة الشعبية التي عاش بها مزبد، والتي عرفت بالفكاهة والنوادر والملح والطرائف والحكايات الأدبية الهازلة. وقد حظي مزبد بمكانة مرموقة نسبيا لدى أمراء المدينة الذين أحبوا نوادره، خاصة أن أكثر أهل المدينة كانوا أكثر الناس ظرفا،

---

[59] انظر: **إتحاف المتودد بنوادر مزبد**، fol. 97r انظر أيضا القصة التي وردت في **تزيين الأسواق في أخبار العشاق**، لداود الأنطاكي، في الجزء الأوّل، حول جارية تدعى "بصيص"، جـ 1، ص529– ص531، بيروت، 1972.

[60] انظر: **إتحاف المتودد بنوادر مزبد**، fol. 87r. وردت هذه النادرة لدى محمد بن شاكر الكتبي، في **فوات الوفيات**. جـ 4، ص132.

[61] انظر: **إتحاف المتودد بنوادر مزبد**، fol. 87r ؛ **فوات الوفيات**. جـ 4، ص 133.

[62] انظر: الميلوي. **إتحاف المتودد بنوادر مزبد**، fol. 85r.

لذا فنوادره تعكس البيئة الواقعية. ولكن، من جهة أخرى، لو قارنا بين مختلف الشخصيات الهزلية التي ورد ذكرها في الأدب، كمزبد وجحا وأشعب وبنان وغير ذلك من شخصيات، لوجدنا تفاوتا بينهم ليس من حيث صبغة وطبيعة النوادر، وإنما من حيث الشهرة التي حظي بها كل منهم. فجحا، على سبيل المثال، امتاز بشهرة لم يسبق لها مثيل، وكذلك أشعب. والسؤال الذي يطرح في هذا المضمار لماذا لم تحظ نوادر مزبد بشهرة بالمقارنة مع شخصيات مضحكة أخرى؟

لا شك أن معظم النوادر التي ترتبط بمزبد، والتي ورد بعض من رواياتها في كتب التراث القديم، اتسمت غالبيتها نسبيا بالبذاءة، إضافة إلى طابعها الجنسي، ويبدو أن كثيرا من هذه النوادر لم تدونها كتب الأدب، بل لعبت الرواية الشفوية دورها في هذا الحقل، وبقيت في إطار الأدب ما وراء الرسمي.

لا نغفل على انه بالرغم من كثرة أعلام الفكاهة في التراث العربي نسبيا، فإن شخصية جحا تبقى أشهر شخصية نمطية فكاهية، لا تزال حية وفاعلة حتى اليوم في الذاكرة العربية والمجال الفولكلوري.